المرجعية الغربية للنقد السيميائي الجزائري

بحث في المصطلح والمنهج

Western reference in Algerian semiotic criticism

Terminology and methodology research

زهرة طاهر جبار*

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
25.06.2023	25.06.2023	26.06.2023

الملخص:

نحاول في هذه الدراسة عرض تجربة بعض النقاد الجزائريين مع استقبال وتوظيف المنهج السيميائي، وذلك من خلال اعتمادهم المرجعية الغربية له، كما نسعى إلى معاينة بعض التطبيقات الجزائرية التي تبنته في سبيل تبين مدى تمثل هذه التطبيقات لاجراءاته المنهجية ومواضعاته المصطلحية.

الكلمات المفتاحية: السيمياء، النقد الجزائري، المرجعيات الغربية

Abstract:

In this study, we try to present the experience of some Algerian critics with the reception and employment of the semiotic approach, through their adoption of the Western reference to it.

Keywords: *semiotics, Algerian criticism, Western references*

****

* جامعة خميس مليانة

مقدمة:

تشير جوليا كرستيفا إلى أن القول بمصطلح (سيميائية) يعني إستعارة المفهوم الإغريقي لمصطلح (***semeion***) علامة مميزة خصوصية ، أثر قرينة ، سمة مؤشرة ، دليل ، سمة منقوشة أو مكتوبة ، بصمة ، رسم مجازي [1].

في حين لا تختلف أغلبية المراجع السيميائية في الإشارة إلى أن الدلالة القديمة مصطلح (***sémiologie***)الذي قد يستعمل مرادفا لمصطلح (***sémiologie***) كانت تطلق في المجال الطبي على " الدراسة المنظمة للأعراض المرضية " [2].

أما دي سوسير في محاضراته نجده يذكر المصطلح بقوله " ما دمت اللغة منظومة من العلامات التي تعبر عن فكرة ما . فإنها هنا تشبه كتابة و أبجدية الصم و البكم و الطقوس الرمزية و ضروب المجاملة و الإشارات العسكرية ....

إنها وحسب أهم المنظومات على الإطلاق يمكننا إذن تصور علم يدرس حيات العلامات في صدر الحياة الإجتماعية ، وهو يشكل جانبا من علم النفس الاجتماعي و بالتالي من علم النفس العام ، إننا ندعوه بالإعراضية (***sémiologie***) ....

ولكون خلقها لم يتم بعد فإنه لا يعز بليا علينا نعرف ما ستؤول إليه و مع ذلك فإن لها حقا في الوجود ، إن مكانتها محددة قبليا ، وما إلا لنسبة إلا جزء منه من هذا العلم العام [3].

نلاحظ من خلال نص دي سوسير أن ترجمة المصطلح كان ضمن حقل الألسنية النقدية .

وترجع البديات الأولى لعلم السيمائية للعالم الأمريكي شارل ساندرس بيرس (1839-1914) في نهاية القرن التاسع عشر بتأسيسه لفلسفة علم السمة (العلامة) و بتقسيمه الثلاثي الشهير للعلامة : الأيقونة (***icone***) ، الرمز (***symbole***) .

وقد اقترنت السيميائية بالسيميولوجية ، فهما مترادفين حينا و متقاطعين حينا آخر ، إقترانا آل إلى إضطراب و خلط كبيرين . لا تزال آثارهما تفعل فعلها في الخطاب النقدي العربي المعاصر [4].

فنجد جورج مونان يفرق قليلا بين المصطلحين إذ يشير إلى السيميائية "معادل بالمصادفة للسيميولوجية ، ينتمي إلى الولايات المتحدة الأمريكية عند شارل موريس مثلا يستعمل أحيانا بدقة أكبر للدلالة على نظام من العلامات غير اللغوية مثل إشارات المرور [5]. في حين يوضح " جون دبوا ورفاقه " المسألة في (قاموس اللسانيات) بأن مصطلح السيميائية في توظيفه المعاصر قد إستعمله شارل بيرس ، و السيميائية التي نظر فيها هي مذهب للعلامات التي تستوجب أن تكون خصائص العلامات المستعملة من قبل العبقرية الإنسانية في مسعاها العلمي ' مضيفين أن السيميائية المعاصرة " تتجنب إعطاء الأفضلية و الأولوية للعلامات اللغوية " [6] .

معنى ذلك أن السيميائية هو مصطلح أمريكي بالدرجة الأولى يحيل على مفاهيم منطقية وفلسفية و غير لغوية ، ...أما السيميولوجية فهو مصطلح ثقافي أوربي أساسا فهو أدنى إلى العلامات اللغوية و المجال الألسني عامة منه إلى علامات أخرى .

على الرغم من ذلك إلا أن النقاد السيميائيون لم يتقيدوا بهذه الفروق بين المصطلحين و ظلوا يتساهلون في استبدال أحدهما بالأخر ، وهو ما دعا كلا من (غريماس ، جاكسون ، ليفي

ستراوس ، بنفنيست ، رولان بارت) إلى توقيع إتفاق علمي سنة 1968 ينص على إصطناع مصطلح (السيميائية) و حسب ، إلا أن تغلغل مصطلح (السيميولوجية) في الثقافة الأوربية جعل نسيانه أمرا مستبعدا [7] .

ظهرت السيميائية في النقد الأدبي إبتداء من مطلع ستينات هذا القرن بفرنسا خصوصا ، حيث برز عمالقة النقد السيميائي (رولان بارت ، جوليان غريماس جوليا كرستيفا ، جينات ...) ليزداد نفوذها خارج فرنسا .مع ظهور قاموس المصطلحي الضخم الذي ألفه غريمان سنة 1979 بعنوان (***DICTIMMAIRE RASONNE DE LA SEMITIQUE THERE DU LANGAGE***) و الذي قعد المفاهيم السيميائية و أرسى معالمها في كثير من الأقطار [8] .

انتقلت بعد ذلك السيميائية إلى الوطن العربي ، خلال الثمانينات ، ومن الأسماء التي أسست لها في النقد العربي المعاصر نشير بوجه خاص إلى الجناح الغربي صاحب الفضل الأكبر في هذا الشأن (محمد مفتاح ، عبد الفتاح كليطو ، أنور المرتجي ، محمد المكاري ، ...) إضافة على أسماء أخرى منها : عبد المالك مرتاض ، ، عبد القادر فيدوح ، قاسم المقداد ، سعيد بوطاجين ، ...

السيميائية في النقد الجزائري :

الدارس للنقد السيميائي في الجزائر يكتشف تباين النقاد في تلقي المنهج السيميائي فالنقاد و إن إتفقوا في منهج ما فإنهم يختلفون في تلقيه لأن المناهج عند الغرب أي في مهدها كانت غامضة ، لأن النقد الحداثي مكتوب بلغة مراوغة فنصهم النقدي يوازي النص الإبداعي ، وهذا الغموض لا يمكن لأي ناقد مهما تفوق محاضرة النقد العربي و فك غموضه ، بل قد يعجزون عن استيعابه ، لذلك انقسموا إلى إتجاهين .

الاتجاه الأول:

إهتم نقاده بنقل المفاهيم السيميائية إلى الساحة النقدية الجزائرية نقلا امينا حاولوا من خلاله التأسيس لنظرة علمية للأدب إنطلاقا من الإنجازات التي حققتها السيميائية الغربية و قد تميزت أعمالهم بتركيزها الكبير على الأعمال السردية إذ يمكن القول أننا لم نجد عندهم أدنى إهتمام بالنص الشعري كما ظهرت عليها إفادتهم المباشرة من آراء و تنظيرات السيميائية الفرنسية بشكل خاص لذا كانت السمة البارزة في أعمالهم النقدية إقترابها الكبير من التناول البنيوي الشكلاني .

الاتجاه الثاني : عرفت أعمال نقاده بعض التحرر من القيود المنهجية الصارمة ،إذ أفادوا من السيميائية في حدود ما تستدعيه دراسة الأدب وكثيرا ما امتزجت السيميائية لديهم بمفاهيم نظريات القراءة والتأويل ،ولم تقتصر دراستهم على نصوص سردية بل تعدتها إلى دراسة النصوص الشعرية .

لم يكن الطرح السيميائي في النقد الجزائري بمعزل عن فوضى المصطلحات التي رافقت استعارة النقد العربي أدواته و مفاهيمه من النقد العربي عموما و لذا نجد الثلاثية(السيميائية ، السيمولوجيا ، السيميائيات) هي الأكثر استعمالا ،و إن كان مصطلح السيميائية الأبرز في النقاد الجزائريين المهتمين بهذا التوجه أمثال :(محمد عيلان واحمد شريط أحمد يوسف كما استعمله رشيد بن مالك عبد الحميد بورايو) الذين يمكن اعتبارهم من أكثر هؤلاء انتقادا اهتماما بالمنهج

السيميائي أما عبد المالك مرتاض فشق لنفسه مصطلحا تفرد به عن كل النقاد الجزائريين والعرب لكان ذا جرأة فكرية ونقدية إذ تخلى عن مصطلح السينيمائية الذي اعتبره الأصلح استعمالا نظرا لامتداده المعجمي إلى صلب اللغة العربية إلي تجعل من السمة المقابل الأصلح للمصطلح (***signe***) أفضل من الدليل والعلامة .

أما عبد القادر فيدوح فقد خلط بين ثلاثة مصطلحات في مؤلف واحد هو دلائلية النص الأدبي الصادر سنة 1995 عن ديوان المطبوعات الجامعية ومن العنوان يظهر ميل الناقد لمصطلح (الدلائلية) لمقابل السينيمائية غير انه وظف مصطلحات أخرى وهي :السيمولوجية التأويلية السيموطيا ولهفي ذلك خمسة مصطلحات كاملة لمفهوم واحد ومع هذا التداخل الإصطلاحي فان الناقد واضح في اختياره المنهجي اذ يعلن مبدئيا ان النص لم يعد يحمل الراية الاديولوجية التي اعتمدت تنبيه الخلل الاجتماعي مظهرا لها ولا البطاقة الإستنطاقية الاستبارية والاستخبارية بوصفها علبة سوداء تساعدنا على استكشاف عبقرية الذات الواعية الفردية والجماعية إنما محاولة الكشف عن غموض [9] كينونته الاحتمالية صفة مميزة له ضمن إجراء تنظيم ولادته المتجددة وبذلك تضع المتلقي إزاء فوضى مسطلحية تدفعه لمحاولة التفريق بين عدة مصطلحات وضعت في الأصل لترجمة مصطلح واحد وهكذا تضيف الفوضى الإصطلاحية في الجزائر فوضى أخرى المصطلح النقدي العربي وهذا ما يلاحظه أي مشتغل على الخطاب النقدي .

وفاتحة النقد السيميائي في الجزائر تتمثل في تلك المحاولة التي نشرتها مجلة أمال للدكتور إبراهيم صحراوي تحت عنوان (المقامة البغدادية قراءة سيميائية 1984) يقول في تقديمها :"إن علم السيميائية أو علم الدلالة علم جديد و قديم في ان واحد، لان الدلالة وجدت مع اللغة جديد يكاد يتخطى الآن مرحلة كونه مشروعا علميا نعترف لرواده فيه بالفضل في الوقت الذي يجب العمل علينا فيه بجد لنقل هذا العلم إلى لغتنا متحرين في ذالك الدقة و الأمانة العلمية في الترجمة.(10)

غير ان هذا التحرر لم يمنعه من الخلط مسبقا بين السيميائية و علم الدلالة الذي يستعمله الدارسون كمقابل لمصطلح (***simantique***) وقد استمدت دراسة خلفيتها الأساسية من أعمال غريماس، وقد مهد لدراسة بالتعرف على المقامة و صاحبها الهمذاني ثم انتقل إلى عرض المقامة على بعض الآليات السيميائية لنموذج العاملي عرضا آليا فجعل الدراسة لا تعدو كونها تجريب للمنهج على النص . فنصه قديم (مقامة) ،و منهجه جديد سيميائي رغبة منه في اختيار المنهج ومدى قابليته و فاعليته في قراءة النص و هي عملية تختلف جوهريا عن السعي الى اكتشاف حقائق علمية عن النص الأدبي بواسطة منهج اثبت فاعليته سابقا أو قبلا.

و تجدر الإشارة إلى أن جهود النقاد الجزائريين مهما قيل فيها قد ساهمت في تأسيس وعي نقدي جديد لفت الانتباه إلى أهمية تلك المناهج في قراءة النصوص الإبداعية و تحليلها، كما أنها لعبت دورا كبيرا في تحريك المشهد النقدي في الجزائر.

و الملاحظ أن الخطاب السيميائي كان الأكثر حضورا في المشهد النقدي الجزائري على صعوبة مصطلحاته، و يرجع ذلك للأسباب التالية:

1- إن جل الذين تنبئوا الخطاب السيميائي هم من الذين درسوا في فرنسا على يد مجموعة من المفكرين الذين يعدون من أقطاب السيميائية الحديثة (غريماس ،رولان بارت، ....)

2- التحرج من المنهج البنيوي الذي وضع النص في قفص النسق المغلق ، فإذا كانت البنيوية قد تعلقت بوهم النسق المغلق و التحليل المحايد فان المقاربات السيميائية استطاعت ان تتجاوز هذه الحدود الضيقة لترتقي إلى منزلة انبثق منها خطاب واصف(***métadiscours***) تتمثل وظيفته في البحث عن الأنساق السيميائية الدالة بمستوياتها اللسانية وغير اللسانية ،و هذه الأنساق لم تفصلها السيميائية عن إطارها الاجتماعي العام و الملابسات التي أحاطت بشأنها، و ذلك ما تنبأ به دي سوسير في محاضراته حول اللسانيات العامة.(11)

سحر السيميائية بأنها علم العلوم أو الخطاب الذي يؤخذ من كل العلوم ،فالملاحظ على السيميائيات أنها ساهمت بقدر كبير في تجديد الوعي النقدي من خلال إعادة النظر في طريقة التعاطي مع قضايا المعنى ، و لقد قدمت في هذا المجال مقترحات هامة عملت على نقل القراءة النقدية من وضع الانطباع والانفعال العرضي الزائل و الكلام الإنشائي الذي يقف عند الوصف المباشر للوقائع النصية ، إلى التحليل المؤسس معرفيا وجماليا[12] .

فهذه الأسباب في نظرنا كانت الدافع لبعض النقاد الجزائريين لتبني الخطاب النقدي السيميائي ، وكان عبد المالك مرتاض صاحب أول مبادرة من خلال بحثه الموسوم بـ (تحليل سيميائي لحكاية جمال بغداد) وعلى الرغم مما شاب ذلك العمل من نقائص إلا أنه فتح شهية بعض النقاد الجزائريين على المناهج الحداثية وخاصة السيميائيات .

السيميائية عند رشيد بن مالك :

كان من أكثر النقاد الجزائريين إستشعارا لصعوبة السيميائيات فقد نبه إلى ذلك في مواقف كثيرة ، فالقارئ العربي في نظره يواجه صعوبة كبيرة في قراءة ما كتب عن السيميائيات سواء كان مترجما أو في شكل بحوث فهو يلقى مشقة كبيرة في فهمها ، وتمثلها و إستصاغتها و فك رموزها مصطلحاتها ، فهو يقرأ و يبذل مجهودا كبيرا لتطويق فكرة أو مفهوم ولفهم ما يترجم إلى اللغة العربية ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا ، و أنى له ان يتمثل ما يقرأ وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعتها السيميائية و مفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية و المفهومية بين المصطلح أو ذلك ، هذا التيار أو ذاك [13] فكل ما قدمه النقاد العرب من أعمال تدخل في مجال التيار السيميائي ، على الرغم من كثرتها لازالت دون المستوى المطلوب .

و لذلك فهو يرى بأن تلك الأعمال تظل ناقصة و مضللة أحيانا لأنها تقدم مفصولة عن أسسها الإبستمولوجية ، وعن ذلك المناخ الذي ولدت فيه ، الشيء الذي يجعل القارئ عاجزا في أغلب الأحيان عن إدراك الفروقات بين هذه النظرية أو تلك ، بين هذا المفهوم أو ذاك [14] .

وبذلك يكون قد وضع أصبعه على مكمن الضعف في النقد العربي الحداثي و أن هذا الموقف من ناقد عربي إطلع على السيميائيات في موطن نشأتها و تعلم مناهجها من أفواه أقطابها و مشايخها و منظريها ، يؤكد مرة أخرى صعوبة المناهج النسقية و خاصة السيميائيات ، فهو يصارح القارئ العربي بان الخطاب الغريماسي

مثلا يحمل الكثير من الطلاسم و التعقيدات [15] .

هذه الصراحة تؤكد مرة أخرى بأن معارفنا التقليدية لا تؤهلنا لتمثيل المعرفة السيميائية ، و لا تمكننا من فهم مقولات غريمس ، وجيرارجينات و جوليا كرشيفا ، ... لأننا كما يقول رشيد بن مالك من المقدرة على تلقي هذه المعرفة الغريزة ذات الأصول الفكرية المتنوعة من منطق الرياضيات و لسانيات و فيزياء وكيمياء [16].

إن القطيعة الحاصلة بين القارئ العربي و التيارات البنيوية السيميائية ترجع إلى إفتقار المكتبة العربية إلى المؤلفات المتضمنة للأصول المعرفية و الفكرية التي مهدت لظهور السيميائية أجهزتها المصطلحية و أدواتها الإجرائية المتبدية بشكل واضح في التمارين التطبيقية [17] . ومن هنا فالمطلع على النقد الحداثي في الجزائر يلاحظ بأن هناك ناقد كانت له النية في تأسيس مشروع سيميائي في النقد الجزائري و هو الدكتور رشيد بن مالك ، فقد كان بشعر بهذا النقص في التعريف بالأصول المعرفية و الفلسفية التي مهدت للتنظير السيميائي ، على الرغم من أهميته في تلك المعرفة السيميائية ، وهذا الإحساس دفع به إلى التنبيه إلى ذلك ، فهو يرى بأن التعريف التاريخ للحركة السيميائية بوصفها مشروع بحث في طور الإنجاز ضروري لموضعتها في سياقها التاريخي ، وضبط معالمها الأساسية و الكشف عن النظريات التي مهدت لظهورها ، و هذه العملية ضرورية و كفيلة بتوجيه القارئ نحو أصولها مباشرة ، إذ بدونها سيجد لا محالة مشقة كبيرة في إستصاغة هذه النصوص السيميائية التي تكاد تكون معقدة في قراءتها حتى على المتخصصين و تتعقد الأمور أكثر فأكثر بإضطراب الخطابات السيميائية المعاصرة[18] و مثل هذا الشعور نجده أكثر عند أحمد يوسف الذي يرى بأنه لا يمكن تجريد السيميائيات المعاصرة من أصولها الفلسفية القديمة [19].

لما ذلك من أهمية كبرى في تبيين معالمها و الكشف عن أسرارها فكلاهما يشعر بالنقص ، وذلك لاختلافهما فيما قدماه في هذا المجال .

فرشيد بن مالك ونظرا لارتباطه بسيميائيات المدرسة الباريسية المرتبطة بلسانيات دي سوسير ، نجده يقف عند الأصول اللسانية و الشكلانية دون غيرها . فعلى الرغم من غزارة علمه و سعة إطلاعه ، وجديته في العمل فإنه لم يستطع أن يتجاوز التعريف بالسيميائيات اللسانية لدى دي سوسير و مصطلحتها دون الإلتفاف إلى الأصول الفلسفية الأولى التي إنبثقت عنها و كانت السبب في وجودها .

انبرى رشيد إبن مالك إلى مقاربة الدرس السيميائي الغربي كمنهجية جديدة لتحليل الخطاب السردي في الأدب العربي ن وتعميم تقنيات البحث السيميائي في ممارسة النقدية الجزائرية ن رغم الصعوبات التي أحاطت بمشروعه في تطبيق هذا المنهج نهاية الثمانينات و بداية التسعينات .

و الهدف الذي لازم رشيد إبن مالك تحقيقه من خلال هذا المشروع هو " تأسيس في قراءة النظريات الغربية "[20] التي لازالت تقرأ في العالم العربي مفصولة عن هويتها و إرهاصات تكوينها ، وسياقاتها الثقافية و الإبستيمولوجية ضمن ما ألفنا التعامل معه في البحث البنيوي و الأسلوب السيميائي العام حيث كانت هذه النظريات تقدم بعيدا عن الرؤى التحتية التي من شأنها تأصيل قواعد البحث العلمي ، وبناء المنهجية و المصطلحية المعتمدة في التحليل السيميائي ذي التوجه الغريماسي .

سعى رشيد إبن مالك في هذا المشروع إلى التعامل مع نظرية غريماس وتقريب مفاهيمها ، بما يهيئ للقارئ أرضية صلبة تمكنه من إختراق حجب الضوابط السيميائية وتكاثف نصوصها وتراكم مصطلحاتها ن فغريماس نفسه أشار أن ما قدمه في مجال السيميائيات من المشاريع و الفرضيات " مكاسب تريد فتح طريق أمام أبحاث جديدة " [21] .

و بما أن إشكالية التنظير و المصطلح النقدي من الإشكالات التي تثير جدلا واسعا و بالأخص في ميدان التطبيق بحكم " التحولات التي تحدث في أي نظرية و تؤدي إلى تعديل في المنهج و المصطلح" [22] و كذلك قصور الترجمات الحديثة عن إستقبال تلك النظريات غير المؤسس لها في الثقافة العربية ،فإن رشيد بن مالك أبدى تمثلا واضحا لأسس النظرية السيميائية،ووعيا دقيقا بآليتها الإجرائية من خلال مشروعه النقدي المزاوج بين التلقي النظري و التحليل ثم ترجمة المصطلح.

ويتأكد مسعى رشيد بن مالك في مدونته المتنوعة بين تلقي نظرية الغريماسية و إنشغاله على مصطلحاتها من خلال ممارسة التطبيقية ، وبين ترجمة المصطلح السيميائي و التي يمكن أن نمثل من خلالها لمشروعه النقدي وفق محطتين أساسيتين :

أ – تلقى النظرية السيميائية السردية بين التنظير و الممارسة و الإنشغال على المصطلح النقدي .

ب- تلقى وترجمة المصطلح السيميائي السردي .

يعد مؤلف رشيد إن مالك الموسوم بـ (المقدمة السيميائية السردية) من البحوث العربية المؤسسة لقراءة النظريات السيميائية فضلا عن دوره الكبير في وسم ميولات الناقد و تنوعها بين التنظير و الممارسة التحليلية ، تقصه في قسمه الأول (النظري) الأصول اللسانية و الشكلانية التي إنبنت عليها نظرية السيميائية الغريماسية و إستمدت من مصطلحيها العلمية بالتركيز على المفاهيم التي كان لها عميق الأثر في بناء الصعيد السيميائي السردي لهذه النظرية [28] .

وقد إخترنا في هذا المجال عينة من مؤلفه (مقدمة السيميائية السردية) و ذلك للكشف عن مدى تمثل الناقد رشيد بن مالك النظريةالسيميائية السردية بمصطلحاتها ، متوسلا في ذلك المفاهيم الغريماسية عبر نص سردي يتمثل في (قصة العروس) لغسان كنفاني .

تقوم مقاربة رشيد بن مالك لقصة العروس ، قراءة سيميائية من متطلبات مشروع نقدي يهدف من خلاله إلى معالجة الإنشاء السردي العربي المتمثل في القصة القصيرة وفق إجراءات التحليل السيميائي و مدى فاعليتها و تأسيسها كقاعدة علمية تقوم على مساءلة النصوص و فهمها من منظور تحليلي علمي يستمد حضوره و فاعليته من موضوع الدراسة و زاوية النظر ، و التحقق المرحلي من فرضيات البحث أثناء الدراسة كما يستمد مشروعيته من القراءات النظرية والتطبيقية الراهنة التي يعود لها

فضل تثبيت قواعد البحث العلمي ونبذ الأحكام المعيارية الموسومة بالكلاسيكية والجمود الفكري " في الوقت التي تشهد فيه الساحة النقدية العربية إنتعاشا علميا في بعض المجالات المتخصصة التي لم ترق لإعتبارات عديدة إلى صياغة مصطلحية نقدية موحدة في البحث و سد الطلبات المتزايدة على مناهج تحليل النصوص و تلبية الرغبات الحادة في معرفتها "[24] .

تتفاعل دراسة رشيد بن مالك ضمن الإطار المنهجي و رغم إقراره أنها مجرد قراءة إلا أنها تحاول إكتناه التمفصلات الأساسية

للنص استنادا إلى الهيئة التلفظية الفاعل و القنوات التي يمرر عبر مضامينه ...مما يقود إلى فهم الرهانات السيميائية في القصة و ضبط دورتها الدلالية "[25] .

قسم رشيد بن مالك النص إلى مقطوعتين :

تبدأ الأولى من " عزيزي رياض " إلى " و إنه محاط بشيء يشبه الغبار المضي " [26] .

و تبدأ المقطوعة الثانية بـ " معك حق ولكنني أكتب لك رسالة هذه الرسالة الثانية ...." وتنتهي بـ " فلدي أخبار جديدة عن العروس " [27] .

أما المقطوعة الأولى ضمنت الرسالة يوجهها الراوي ، كهيئة مخاطبة نصيبا تحتل مكانة الأنا المتكلم ، إلى شخصية (رياضة) وهي هيئة مشخصة تحتل منزلة الانت في النص ، كما تتوزع صورة عزيزي بين بداية النص ونهايته ، وهي علاقة تحكمها وصلة حميمية تتطلب تنفيذ برنامج سردي مرسوم سلفا.[28]

" إبحث معي أنت عن رجل طويل جدا ، صلب جدا ، لا أعرف إسمه ولكنه يلبس بدلة حاكية ، ويلوح لاول وهلة كأنه مجنون "[29] .

يرى رشيد بن مالك ان الراوي يؤسس في هذا الملفوظ فاعلا في مشروع سردي يؤدي وضعه كمرسل إلى قبول العقد ، ووجوب التحري عن رجل نكرة . غير أن هذا البحث يطرح إشكالية في غاية التعقيد ، تجعل المرسل في حيرة يدور في حلقة مفرغة و لا يملك القدرة على التمييز والمعرفة ، والتي تقتصر على المستوى الظاهر و العلامات الدالة على مظهره الخارجي (طويل جدا ، ولكن هذه العلامات لا تفي بتميزه عن الآخرين)[30] .

" ماذا يمكن أن نفهم من هذا كله ؟ لا شيء طبعا فالمرء يصادف في اليوم الواحد إذا ما سار في الطريق ، مائة رجل يحملون هذه الصفات ، فأي واحد منهم تراني أقصد ؟ " [31] .

و بإنتقال الراوي من الحديث عن الرجل إلى الحديث عن المحيط يلخص عند تأسيسه كفاعل في برنامج التحري عن رجل و تبقى علامات فشل المشروع معلقة ... في إنتظار علامات مميزة أخرى كفيلة برفع الإلتباس و تحقيق التواصل .[32]

و هذا يتجلى في المقطع : " و لكن يخيل إلي الآن أني حين شهدته لأول مرة كان محاطا بما يشبه الضوء ، نعم كان محاطا بشيء يشبه الغبار المضيء " [33] .

من خلال تحليلنا لهذا المقطع من القصة يمكننا القول أن التحكم في العملية النقدية في مثل هذا العمل التحليلي ، هو نتاج قدرة رشيد بن مالك في المحاورة مصطلح السردي و إستعماله كلغة بديلة عن المألوف في مراودة النص متمثلا في ذلك مقولة رولان بارت " عن النقد يشطر المعاني و يأتي بلغة ثانية يجعلها تحوم فوق لغة العمل الأولى ، أي أنه ينسق بين الإشارات المشكلة للمعاني ، لتبوح بأكثر مما تحمله الدلالات الأولية للعمل الإبداعي " [34] .

و في النهاية نشير إلى أن تمثل رشيد بن مالك للمفاهيم الغريماسية في محاورة المصطلح ، لا يخرج عن كونه إجلاء لتطبيقاتها في الخطاب السردي ، و إفراغا لما تحمله من معاني تسهم في هندسة النص من ناحية ن والمحافظة على أصالته من ناحية أخرى كما سعى الناقد من خلالها إلى تمكين القارئ العربي من التحكم في الممارسة التحليلية ، وتجاوز الأبعاد المنطقية و التطبيقات الرياضية للمصطلح السردي الغريماسي أثناء عملية التحليل .

ومما تجدر الإشارة إليه أن رشيد بن مالك حاول من خلال جملة مؤلفاته و ممارسته النقدية

المنجزة وفق المنهج السيميائي على ترسيخ المصطلح السيميائي السردي في البحث النقدي العربي مستهدفا بذلك تذليل الصعاب أمام الباحث " من اجل تجاوز مصاعب الترجمة و تخطي فوضى الاستعمالات المصطلحية الجاري العمل بها " [35] و ذلك من دراسة المصطلحات " من أوجب الواجبات و أسبقها على كل باحث ، في أي فن من فنون التراث لا يقدم الخطوة الأولى للفهم السليم الذي ينبني عليه التقويم السليم و التاريخ السليم .[36]

كما لاحظنا تأثر رشيد بن مالك الفعال بالمد البنيوي ، و ما إنعكس عنه من تحويرات فكرية ، إجتماعية ، ثقافية ساهمت في بلورة أفكاره و صياغة ملامح مشروعه النقدي و تأثره العميق بالفكر الغربي الحديث و مراجعه فإنتاجه النقدي يعزف من منابعه و يقلد نظرياته ، و يتنبأ بطروحات أعلامه في نطاق البحث اللساني و الأدبي المعاصر.

السيميائية عند سعيد بوطاجين :

على الرغم مما تنفرد به الساحة النقدية الجزائرية من خصوصيات تميزها عن مثيلاتها العربية ن بالنظر إلى تباين الظروف

و اللبس الذي يحيط بالتجربة النقدية الجزائرية في قراءة النظريات الغربية و مقاربتها فغن الباحث الجزائري ، وإن تأخر على مواكبة ذلك المنجز الغربي في أوانه على غرار النقاد التونسيين والمغاربة إلا انه أبدى منذ ثمانينات القرن العشرين رغبة و قدرة على تعاطي هذا النوع من المعرفة وإجرائها على المنجز العربي بشقيه الشعري و السردي .

و نحن نجود النظر في المدونة النقدية الجزائرية المنضوية تحت مضلة هذا الضرب في التعامل ، ألفينا هناك عددا من الأسماء التي لعبت دورا فعالا في الممارسة النقدية السيميائية ، و أسهمت في توظيف المصطلح النقدي السردي ضمن الدراسات العربية نذكر الدكتور : سعيد بوطاجين من خلال ممارسته النقدية المنجزة وفق المنهج السيميائي حيث أشار " إلى بعض الصعوبات التي عانينا منها من إشكالية المنهج و المصطلح ، أما على المستوى الأول فلأن المناهج كلها في حركة مستمرة بحثا عن ذاتها و عن طريقة مثلى لإمتلاك النص ، أضف إلى ذلك التطبيقات المكررة لأدوات إجرائية تدفع على التساؤلات عن ديمومتها و مآلها وعن مدة قدرتها على الإلمام بإنتاجها المعرفي وخصوصياته [37] .

ومن جهة أخرى هناك إشكالية مزدوجة الاختلاف الموجود بين المنظرين الغربيين وهناك الترجمات العربية لمصطلحات لم يستقر عليها نظرا لعدم لقعيد العلوم بعد ثم إن هذه الترجمات جاءت وفق تفاوت مستويات التلقي ولذلك اتسمت بالتشتت والتناقض أحيانا وأمام هذا الإضطراب في المصطلحات حاول السعيد بو طاجين انتقاء الترجمات التي رآها الأقرب إلى الدقة ،نذكر على سبيل المثال :أعمال عبد السلام المسدي ،جميل شاكر ،سمير المرزوقي ، د .ميشال شريم واخرون .

أما المصطلحات التي اضطر إلى استعمالها ولم يجد لها ترجمة فقد اقترح مقابلا عله يكون قريبا من معناها ، وفي حالات أخرى لجأ الى الشرح من خلال استعمال جملة كاملة تهدف إلى تقريب المعنى من المتلقي

عالج السعيد بوطاجين موضوع إشكالية العامل الذي يتقاطع مع الشخصية و الممثل والوظيفة وأول كتاب نتذكره في هذا المجال (مورفولوجيا الحكايات الشعبية) لفلادمير بروب حيث شكت

القصة واعتبرها مجرد وظائف تظهر وتختفي بحسب خصوصية النص .

ظهر بعد ذلك تغيير وحول مصطلح الوظيفة إلى عامل مصرفا إياه بالقائم بالفعل أو متلقيه بعيدا عن اي تحديد اخر وسيضم العامل الأشياء والمجردات والكائنات المؤنسة بغض النظر عن أي استثمار دلالي أو اديولوجي (39)

ومع مجيء غريماس شهدت نظرية العامل عدولا أخر دون أن تتخلص من تأثيرات بروب وتنيير، فقدعمل هذا الاخير على تقليص العوامل إلى حدها الأدنى وضبطها بشكل مؤسس معرفيا وبنائيا ، وهكذا احتفظ بستة عوامل رآها تنظم العوامل والأفكار والقيم عامة والتي تتمثل في عوامل البلاغ وهي من السارد والمسرود له وهي عوامل خارجية إن صح التعبير ،وبين عوامل السرد أو الملفوظ(الذات /الموضوع)(المرسل والمرسل إليه)، فقد عمل على إقامة مقابلة من منظور نحوي بين العوامل التركيبية المسجلة في برنامج سردي معين وبين العوامل الوظيفية التي تؤدي أدوارا عاملية في المسار السردي

ولو نعود الى الوراء قليلا لعرض شكل العامل وهيئته ، فنجد غريماس يعرض موضوع العامل ويرى انه قد يكون فرديا او جماعيا ، كما يمكن ان يكون مجردا ، بحسب تموضعه في المسار المنطقي للسرد

ممثلا له بالشكل التالي :

مرسل موضوع مرسل إليه

مساند ذات معارض

يجب أن يمر من المرسل إلى الذات ثم إلى الموضوع إذ يصبح من المتعذر قراءة الترسيمة على هذا النحو ،لان المرسل لا يمكن أن يطلب شيئا من الموضوع من حيث انه مسعى وليس ذات

ان الحديث عن تجليات البنى العاملية في الرواية يتطلب عملا تجزيئيا غاية في الدقة ، وهذا العمل قد ينطلق من ابسط الوحدات الصغرى للمعنى للبحث عن الذوات والموضوعات لذا تبدو عملية تحليل الفعل السيميائي المحدد لنظام العامل امر بالغ التعقيد ، ولهذا ارتأينا دراسة البنى العاملية الشاملة واغفال البنى الصغرى التي تتطلب عملا موسوعيا(40)

أما العامل عند السعيد بوطاجين فهو يعتبره "وحدة تركيبية ذات طابع شكلي بغض النظر عن اي استقلال دلالي او اديولوجي(41)

يبدو ان هذا التعريف يوافق مفهوم العامل في الدراسات الغربية

وفي المجال التطبيقي يعرض السعيد بوطاجين رواية (غدا يوم جديد) لابن هدوقة "دراسة سيميائية " حيث خصص للدراسة البنية العاملية (الاشتغال العاملي)مبينا لهذا اعتمد على البنى الشاملة دون الوحدات الصغرى المنتجة للمعنى ، و لضبط العملية التحليلية عمل على انتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية لتبيان أهم الاتصالات والإنفصالات بين الذوات والموضوعات حتى يتسنى توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بني عاملية متميزة

لذا قسم السعيد بوطاجين النص الى مقطوعات تمحورت حولها في جمل أساسية وهي :

-خصص الفصل الثاني من الرواية الدراسة العلاقة بين الذات المتمثلة في شخصية مسودة ، وموضوعها المركزي المتمثل في رغبة الذهاب إلى المدينة التي شهدوا قيمة من القيم ، كما بين أهم القوانين المنظمة للعالم الحكي كما قام بتوزيع أهم العوامل وفق الترسيمة العاملية التي اقترحها غريماس

-أما الجزء الآخر فتناول موضوع الكتابة ، لان البطلة تنوي القيام بتعرية ماضيها لغايات اجتماعية وذاتية

وقسم من الرواية خصصناه لبرنامج سردي تقف وراءه شخصية أخرى لذا عنونه ب(الرواية – الموضوع)، ويهد ف وراء ذلك إلى رصد كيفية تمفصل مجموع الحكايات التي تؤلف مجتمعه الحكاية ، بالإضافة إلى إبراز العلاقة بين مجموع الشخصيات

- وفي القسم الأخر تناول نوعية العلاقة القائمة بين مجموع الشخصيات (عزوز و الدشرة)لذا عنونها ب"(الأرض –الموضوع 2) محاولين توضيح كيفية تحول الأرض إلى موضوع قيمي يحدد العلاقة بين مجموع الشخصيات والذوات
- وقسم خصصه الى الحكاية الشبه مستقلة أولاها الساردون أهمية خاصة عنوانها (المدينة – الموضوع2)، حيث وضح العلاقة القائمة بين بعض الشخصيات وكيفية إسهامها في التوزيعات العاملية المركبة واهم انزلاقاتها من مرحلة قصصه إلى أخرى
- والقسم الأخير خصصه إلى المثلثات العاملية وتهدف من وراء ذلك إلى عدم إغفال ادوار بعض الشخصيات التي تبدو ثانوية ، لكنها تقوم بادوار تسهم في تحويل مجرى الحكاية وتعقيد الأنظمة العاملية

وفي الأخير نشير إلى أن المثلثات العاملية تتضمن عوامل محدودة بالمقارنة مع الترسيمة العاملية ،وذلك لافتقارها لعنصر الصراع ، ومنه تم إخفاء خانتي المساندة والمعارضة ،واكتفاء الحكاية بثلاثة وظائف (الذات ، الموضوع ،المتلقي)

إن رواية غدا يوم جديد رواية متفردة بحاجة إلى اهتمام اكبر من نقاد متخصصين في مناهج مختلفة لتبيان كيفية تمفصل المعنى .

الهوامـــــــــــــــش:

1- ***julai histeva.la pevalutiondu langagepoetique.p.22***

2- ***gearges maunin.dictrannaire de la linguistique calition***

3- محاضرات في الألسنية العامة ،فرديناند دوسوسير، ص27

4- النقد الجزائري المعاصر من الألسونية الى الألسينية ، يوسف وغليسي، إصدارات رابطة إبداع الثقافية ، ص132

gearges maunin.dictrannaire de la linguistique ediition presses universsitaire de francaie 1974 p 294 -5

6- ***jean dubois : dictionnaire de la li linguistique larousse paris 1991 page 434et 435***

7- بين السمة والسيميائية ، عبد المالك مرتاض ،مجلة تجليات الحداقة ، جامعة وهران ، عدد02، 1996، ص16

8- النقد الجزائري المعاصر ، يوسف وغليسي ، ص133

9- دلائلية النص الأدبي ، عبد القادر فيدوح ،ديوان المطبوعات الجامعية (وهران)، ط1 ، ص2

10 - المقامة البغدادية قراءة سيميائية ، إبراهيم صحراوي ، مجلة آمال ، العدد12، 1984، ص06

11- القراءة النسقية ومقولاتها النقدية ،يوسف أحمد ، دار المغرب ، ص22-23

12 - السيميائية مفاهيمها وتطبيقاتها ، سعيد بن كراد ، ص 07

13 - السيميائية مدرسة باريس ، جان كلود كوكي ،ترجمة :رشيد بن مالك دار الغرب للنشر ، ص6/5

14 - المرجع نفسه ، ص12/11

15- السيميائية اصولها وقواعدها ، مشال اريفيه واخرون ، ترجمة :رشيد بن مالك منشورات الإختلاف ، ص10

16 - المرجع نفسه ، ص11

17 - السيميائية مدرسة باريس ، جان كلود كوكي ، ص7/6

18 - مقدمة في السيميائية السردية ، رشيد بن مالك ، دا ر القصبة للنشر ، ط 2000، ص06

19- السيميائيات الواصفة ، احمد يوسف ، ص118

20 - ينظر :تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص ، عبد القادر شرشال ، منشورات مختبر الخطاب الأدبي في الجزائر ، وهران ، ص98

21 - ينظر :مدخل إلى السيميائيات السردية والخطابية ، جوزيف كورتيس ، ترجمة جمال حضري ،الدار العربية للعلوم ، ط1، 2007، ص17

22 - مناهج النقد المعاصر ومصطلحاته، صلاح فضل مريت للنشر (القاهرة)، ط1 2000، ص13

23 - ينظر : مقدمة في السيميائية السردية ، رشيد بن مالك ، ص49

24 - مقدمة في السيميائية السردية ،رشيد بن مالك، ص05

25 - ينظر المرجع نفسه ، ص51

26 — قصة العروس ،غسان كنفاني، مؤسسة الأبحاث العربية (لبنان)، ط3 ، 1980 ، ص152/151

27 - المرجع نفسه ، ص152-163

28 - ينظر : مقدمة في السيميائية السردية ،رشيد بن مالك، ص52/51

29 - المرجع السابق ، ص151

30 - ينظر :مقدمة في السيميائية السردية ،رشيد بن مالك، ص51

31- قصة العروس ،غسان كنفاني، ص151

32 - ينظر : مقدمة في السيميائية السردية ،رشيد بن مالك، ص53/52

33 - المرجع السابق ، ص151

34 - نقد وحقيقته ، رولان بارت ، ترجمة منذر عياشي ، المركز الثقافي العربي (حلب)، ط1994 ، ص102

35 - قاموس مصطلح التحليل السيميائي للنصوص ، رشيد بن مالك ، دار الحكمة ، ط1: 2000، ص07

36 - مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، الشاهد البوشيخي ، دار القلم للنشر (الكويت) ط1990، 2 ، ص13

(37) الاشتغال العاملي دراسة سيميائية (غدا يوم جديد)لابن هدوقة عينة ،سعيد بوطاجين ، منشورات الاختلاف (الجزائر)، ط2000 ، ص 09

38 -المرجع نفسه ، ص09

39 - المرجع نفسه ، ص14

40 - الاشتغال العاملي ، سعيد بوطاجين ، ص 18

41 - المرجع نفسه ص 19